



كلية التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Asst.prof.Dr. Maytham Ali
Abbad

College of Education for Human Sciences,
Tikrit University -Department of Arabic
E-Mail:mythiam.ab@gmail.com
Mobile: 009647717096766
Salahuddin

Keywords:

So
Va
Po
N
T

ARTICLE INFO

Article history:

Received 3 June. 2020

Accepted 12 July 2020

Available online 23 July 2020

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq

E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

The Social Values in poetry of AL-Namir Ibn Tawlab

A B S T R A C T

Old Arabic poetry still rich in images and meanings—a matter that enables us to borrow from its culture and thus to establish our philosophy towards society. This study aims at elaborating on moral values represented in Namir Ibn Tawlab's poetry. The moral values that the examined poet tackles are generosity, social relations, ethical values and the like. The study follows the descriptive analytical approach.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.2020.5>

القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولى

د. ميثم علي عباد /جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة

لا يزال الشعر العربي القديم يشكّل معينا لا ينضب من المعاني والصور التي تميّط اللثام عنها القراءات المتعددة التي من شأنها استنطاق النصوص مرة أخرى على الوجه الذي يكس اهتمامنا بترائنا الشعري الذي نستمد منه فلسفتنا تجاه الحياة والمجتمع واشياءه .وانطلاقا من الطرح أنفا اتجهت هذه الدراسة نحو الكشف عن القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولى، وسيحاول هذا البحث إمطة اللثام عن تلك القيم من خلال رصدها في النصوص الشعرية، والتي تمثلت بـ (الكرم، ، قيمتا حسن الجوار/ حسن الخلق، الفروسية الصلات الاسرية) منتهجا المنهج الوصفي التحليل في الكشف عن تلك القيم وابعادها الاجتماعية، وكل ذلك جاء مسبقا بلمحة سير ذاتية للشاعر، وشيء من الحديث عن حضور تلك القيم في المجتمع العربي القديم، في محاولة لتأطير جوانب البحث .

لا يزال الشعر العربي القديم يشكّل معينا لا ينضب من المعاني والصور التي تميّط اللثام عنها القراءات المتعددة التي من شأنها استنطاق النصوص مرة أخرى على الوجه الذي يكس اهتمامنا بترائنا الشعري الذي نستمد منه فلسفتنا تجاه الحياة والمجتمع وأشياءه .وانطلاقا من الطرح أنفا اتجهت هذه الدراسة نحو الكشف عن القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولب، وسيحاول هذا البحث إمطة اللثام عن تلك القيم من خلال رصدها في النصوص الشعرية، والتي تمثلت بقيم (الكرم، ، قيمتا حسن الجوار/ حسن الخُلُق، الفروسية الصلات الاسرية) متبعين المنهج الوصفي التحليل في الكشف عن تلك القيم وابعادها الاجتماعية، وكل ذلك جاء مسبقا بلمحة سير ذاتية للشاعر، وشيء من الحديث عن حضور تلك القيم في المجتمع العربي القديم، في محاولة لتأطير جوانب البحث .

• سيرة الذاتية للشاعر

هو شاعر مقل مخضرم عاش في الجاهلية وادرك الاسلام وحسن اسلامه^(١) ومن الجدير بالذكر أن المصادر القديمة لم تتحدث عن حياته في الجاهلية ، وكانت النتيجة بجهل حياته بتفاصيلها كافة ، في أن معرفة جوانب حياته قد اهتدى لها الباحثين من خلال الاشارات التي تضمنها شعره^(٢) ، وللشاعر قيمة فنية عليا عند النقاد فكان ابو عمرو بن العلاء يشبه شعره بشعر حاتم الطائي^(٣) ، وقد ذهب في هذا الاتجاه لما وجده في شعريهما من التباين الشعري في القيم الاجتماعية المتشابهة، تلك القيم التي اوجدها تماثلهما في الزمن والمعطيات الثقافية والمجتمعية وفكرة الحياة والموت وغيرها، فضلا عن ذلك فإننا نجد ابا عمر بن العلاء يسميه بالكيس لحسن شعره وكثرة امثاله^(٤) ، وقد عدّه بن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من فحول الجاهليين^(٥)

حضور القيم الاجتماعية في المجتمع القديم

حظي العرب في العصور القديمة على الكثير من المثل والقيم الاجتماعية التي تعارفوا عليها، فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: ((ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها ، لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في برّه ، لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها، ويمسكها مخافة أن تضيع، إذا لحق بجارهم ديين أو اصابه شدة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من شدته))^(٦) ، وقد كان الجار وحمائته من قيم المجتمع العليا ، ولذلك أولى الجاهليون هذه القيمة اهتمامهم وتمادوا في ذلك حتى زعموا حماية الجار من الموت ، وذلك انه اذا مات دفع حامه ومجيره ديته الى اهله^(٧)

فضلا عن ذلك فد اشار القران الكريم الى أهمية الجار ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

ومن هنا نلاحظ أهمية الجار وكيف صنفه القرآن الكريم ، فإن لم يحسن لهما للآخر لا خير فيهم ^(٨) ومن القيم الاجتماعية التي اكدها العرب قديما صلة الرحم وادامة التواصل ، ونصرة العشيرة اذا ألمّ بها خطب ^(٩)، ومن تلك القيم التي أجّلها العربي وأعلى من شأنها في حياته ، قيمة الكرم ، اذ تميز العرب بإكرام الضيف وتنافسوا في ذلك، ((حيث كان العرب يعيشون حياة شحيحة بالزاد وحياتهم ترحال وتجوال ، وكل واحد منهم مقرر أن ينفذ زاده، فهو يقري ضيفه اليوم لأنه سيضيفه غدا بحسب طبيعة حياتهم، والعرف أن الضيافة لديهم ثلاثة أيام وثلاث ليال، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة، إلا اذا جدد المضيف وزاد عليها)) ^(١٠)

ومن القيم التي آمن بها العربي هي قيم الشجاعة والبطولة والفروسية ، لما لها من دور في استقراره النفسي وأمنه الاجتماعي، وذلك بسبب الظروف التي فرضتها عليه طبيعة الصحراء، لذلك كانوا يتمادحون بمن يموت طعنا، ويهجون من يموت حتف أنفه، لأن الشجاعة لديهم قيمة أخلاقية واجتماعية عالية جدا ^(١١) ((فالشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدتها لم تكن له فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس، وقال العلماء أصل الخير في ثبات القلب)) ^(١٢)

حتى انهم اوصوا بها ابناءهم وكانوا يحتنونهم على الفروسية والاهتمام بمثلها العليا ^(١٣) ومن الجدير بالذكر ان الحديث عن القيم الاجتماعية يطول ولكننا عمدنا لذكر الابرز منها على سبيل المثال والبيان .

قيمة الكرم

إن أهم ما امتاز به العرب واشتهروا به اكرامهم للضيف وافتخروا بهذه الخصلة حتى اصبحت هوية حملوها وتميزوا بها عن الامم الأخرى ومن مظاهر كرمهم هداية الضيوف ليلا بالنار اذ كانوا يوقدونها على المرتفعات لتكون دالة واضحة وبينة لضيوفهم ، وان الكرم من وجهة نظرهم يصنع لصاحبه مكانة اجتماعية راقية تجعل الآخرين ينظرون اليه بعين الاعتبار والاحترام حتى قال الخليل بن احمد الفراهيدي : الكرم شرف الرجل، الكرم عند العرب تقديم القرى للضيف بمعنى انه عطاء يقصد به الكرم الضيف وقضاء حاجته ولا يرجى من وراء فعلها جزاء او شكورا ، والكرم من الافعال المحمودة تصفه العرب بأنه اشرف ملابس الدنيا به يرفع الذم ويستتر العيب ويحمى العرض ^(١٤) .

إن هذا الموقف اصبح واضحا في دعوة عقلاء القوم وعليته الى السخاء لأن المال في نظرهم ما هو الا وسيلة لمساعدة الآخرين على مواجهة مصاعب الحياة وكسب ثنائهم وثقته ^(١٥) لاسيما أنهم نظروا الى الحياة على انها فانية فلا فائدة من البخل لذا تسابقوا لإكرام الضيف واجارته وعدوا ذلك عملا من مآثرهم ومفاخرهم وأكد ذلك حتي بقوله: ((ان العربي يظل كريما جوادا أميناً على الجوار مضيافاً ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقرى وحسبوا افضل سجايا الانسان لإيثارها سوى الحماسة والمروءة)) ^(١٦)، كما عُدت الظروف الطبيعية التي اتسمت بها جزيرة العرب أهم دافع لظهور الكرم اذ مثل عامل الرحيل

والتقل في الصحراء وعدم معرفة مسالكها واحتمالات الضياع فيها سببا لذلك ، فالعربي كان يكرم ليكرم ويُطعم ليُطعم وَيُعطي ليُعطي لأن حياة الصحراء غير مأمونة وقد يتعرض لنفس الموقف الذي تعرض له صاحب القري ، فأصبح الكرم هنا واجب انساني وتقليد عربي حرص عليه العرب في جزيرته،^(١٧) ومن الملاحظ أن شاعرنا النمر بن تولب كان كريما جوادا ولا تأخذه لومة عاذلة في كرمه مهما كان مقداره وفيها نجده قائلا^(١٨):

لَا تَغْضِبَنَّ عَلَيَّ إِمْرِي فِي مَالِهِ وَ عَلَى كَرَامِي صُلْبِ مَالِكَ فَاعْضَبْ
وَإِذَا تَصَبَّكَ خَصَاصَةً فَارْجُ الْغَنَى وَإِلَى الَّذِي يُعْطِي الرِّغَائِبَ فَارْغَبْ

فالشاعر له باع طويل في الكرم والحث عليه لما يمثله من قيمة اجتماعية ، حتى نجده يمتلك فلسفة خاصة بهذا الجانب ، وهو يتحدث بِبُعْدِ اجتماعي عالٍ ، متمصا دور العارف الفاهم

فهو (لا) الناهية في سياق الفلسفة التي يروم الكشف عنها في هذا الجانب الاجتماعي ناهيا بذلك المتلقي الى عدم الغضب على من لا يكرم ان لم يكن ماله من أطيب ما يملك (كرائم صلب) وانما يكون الغضب على من لا يكرم من إبله الخاصة المالك لها التي تتناسل من بعضها، وان اصابتك ضائقة فتمنى الغنى حتى لاتقف بباب احد ، وأقبل الى من يعطي ويكرم بالكثير (الرغائب) فالشاعر عبر هذا التوجه الفلسفي في قيم الكرم انما يضعنا أمام تصور كامل عن العزّة والانفة التي كان العرب يتحلون بها قبالة الكرم والعطاء ، ونلاحظه يقدم ذلك بصيغة الشرط وجوابه (وإذا تصبّك خصاصةً / إلى يعطي / الرغائب / فأرغب) فجاء الفاء لجواب الشرط خدمة للمعنى الذي نشده الشاعر .

ويستمر الشاعر في الحديث عن الكرم والضيافة بوصف دقيق يكشف من خلاله طبائعه فيه ، فنجده يتحدث عن نفيه ورفضه بأن يبخل على أضيافه لحم ناقته، وأن بابه لا يؤصد أمام ضيوفه قائلا^(١٩):

فَلَسْتُ بِحَارِمِ الْأَضْيَافِ مِنْهَا وَجَاعِلِ دُونَهُمْ بَابِي رِتَاجَا
وَتَأْمُرُنِي رَبِيعَةَ كُلِّ يَوْمٍ لِأَشْرِيهَا وَأَقْتِنِي الدَّجَاجَا
وَمَا تَغْنِي الدَّجَاجَ الضَّيْفَ عَنِي وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نَضَاجَا

ونجده ينحو منحى الشعراء الاجواد في رفضه حديث العاذلة التي تريد عدله عن الكرم وهذا دين الفرسان الاجواد وظهوره بصورة الواقعية للكرم الجواد ، ولاسيما أن ((حوار الشاعر مع عاذلته ينبجس عن واقعية محضة))^(٢٠)، فهو يرفض أن يبيع ناقته ليقتنى الدجاج لعدم قناعته بأن الدجاج طعام للضيوف نافيا ذلك بدلالة (ما) النافية حاصرا قناعته بلحم الابل الناضج بطهيه نضوجا تاما موظفا لذلك اداة الحصر (إلا) (وليس بنافعي إلا نضاجا) ومن هنا يمكن أن نلاحظ عظم الكرم كقيمة

اجتماعية يقف الشاعر عند جزئياتها لما تشكله من لبنة اساسية في حضوره في مجتمع يولي الاهمية القصوى لهذا الشأن.

ولكرمه لم تمنعه سمنة ابله من الدفاع عن نفسها فقد قصد (سلاحها) كناية لسمنتها لأن الابل تجعل السمنة سلاحا لتجنب نحرها، لكنه لكرمه كان ينحرها ويقدمها للضيوف، قائلا (٢١):

أزمانَ لم تأخذ إليَّ سلاحها إبلي بجلتها ولا أبكارها
اعتزها ألبانها ولحومها فأهينَ ذاكَ لضيفها ولجارها
ولرفقةٍ في ليلةٍ مشمولةٍ نزلتُ بها فعدتُ على أسارها
وأضاعَ أقوامٌ فسبتُ أمهم وأبوهمُ حتى يمتَ بعارها

فهو يقدم ألبانها ولحومها للضيوف والجار ، ويتسع كرمه ليشمل الرفقة الذي يجيئون في الليالي الباردة (ليلة مشمولة) وهو يُنكر على من لا يفعل فعله، فسوف تُسبُّ أمهم وابوهم وسيلحقهم العار، فقيمة الكرم الاجتماعية وأهميتها جعلت الشاعر يسمُ من يتخلف عن هذا الفعل بالعار، فالأحجام عن الكرم والوقوع في البخل، يفضي إلى اللوم والعار، وتنطلق رؤية الشاعر لهذه القضية ضمن الإطار الجماعي، وهو - أي الشاعر - دائم التأكيد على تلك المناقب (٢٢) .

فالشاعر يصف نفسه بالكرم ويعاتب زوجته على لومها له ، وكان قوم في الجاهلية ، فعقر لهم اربع قلائص ، واشترى لهم زق حمر فلامته على ذلك ،فقال (٢٣)

قَالَتْ لَتَعَذَّنِي مِنَ اللَّيْلِ إِسْمَعِ سَفَهَا تَبَيْتَكَ الْمَلَامَةَ فَاهْجَعِي
لَا تَعَجَّلِي لِعَدِّ وَأَمْرِ غَدٍ لَهُ أَتَعْجَلِينَ الشَّرَّ مَا لَمْ تَمْنَعِي
قَامَتْ تَبَكِّي أَنْ سَبَّاتُ لَفْتِيَّةٍ زَقَاً وَخَابِيَّةٍ بَعُودِ مُقْطَعِ
لَا تَجْرَعِي أَنْ مُنْفَسَا أَهْلَكْتَهُ وَإِذَا هَلَكْتَ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْرَعِي
وَقَرِيْتُ فِي مَقْرِي قَلَائِصَ أَرْبَعَا وَقَرِيْتُ بَعْدَ قَرِي قَلَائِصُ أَرْبَعِ
أَتَبْكِيَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيِّنِ سَفَهُ بَكَاءِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعِ

فالشاعر يوظف الحوار للكشف عما يريد البوح به من رأي للمجتمع والمتلقي ، وبيان مدى اهتمامه بالكرم كقيمة اجتماعية عليا، لذلك لانجده يرحب برأيها مسقها له (سفها تبينك الملامة فاهجعي) موظفا اسلوب الزجر (فاهجعي) ناهيا إياها عن العجلة بالشر وأن غداً له أمره ، وهو يرفض كل ما جاءت به مذكرا اياها بعدد القلائص التي نحرها، فتلك الحوارية تفتح برأينا _ الطريق الى استكناه الدلالة العميقة

المنطلقة من عاطفة الشاعر وما يجول في خاطره من رؤى ومقصديّة، إذ وجد في هذا الحوار منفذا له للحديث عن الكرم بوصفه قيمة اجتماعية تستحق المعالجة .

ومن صور الكرم لديه التي صحبة حضور صوت العاذلة قصته حين خرج بعدما كبر في ابله فسأله سائل ، فأعطاه فحل ابله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته وعدلته ، وقالت: فهلاً غير فحل ابلك ؟ فقال لها^(٢٤):

دعيني وأمري سأكفيكه وكوني قعيدة بيت ضباعا
فاتك لن ترشدي غاويا ولن تدركي لك حظاً مضاعا

فهذا التهوين والاستخفاف بتحذير العاذلة إياه وهي تكره له مضيه في الكرم، يحيل قارئ الحوار إلى التوتر الحاد بين صدق الواقع وبين حمل المتلقي إلى اصطناع الشاعر هذه المواجهة الأبدية مع الدهر المتمثلة في قوله (دعيني وامري) بيد أن الشاعر - وقد قادته العاطفة المهيمنة في النص أن يصور نهاية قراره الحتمية في الشطر الثاني من البيت - ظل مقراً بانها لن ترشد غاويا مثله، ولعل تكرار ورود مقاطع حوار العاذلة في شعره يفسر ارتباط ذلك بصيغة حياته وتوافره نحو تأكيد التزامه بالكرم ورفضه لواقعهم المرير كما يومئ إلى اتخاذهم هذا الحوار منفذاً للحديث عن الاقتدار الفردي للشاعر في اثبات هذه القيمة الاجتماعية.

ومن صور اهتمام الشاعر بالكرم قصة النمر بن تولب مع صديقه فقد كان للنمر صديق فأتاه النمر في ناس من قومه ، يسألونه في دية احتملوها فلما رأهم وسألوه تبسم فقال^(٢٥):

تَبَسَّمَ ضاحِكاً لَمَّا رَأَى وَأَصْحَابِي أَدَى عَنِ النَّمام

فقال له الرجل: إن لي نفس تأمرني أن اعطيكم ، ونفساً تأمرني أن لا أفعل، فقال النمر

أما خليلي فإني لست معجله حتى يؤامر نفسه كما زعما
نفس له من نفوس القوم سالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

فيتجلى لنا من هذه الحادثة اصرار الشاعر على تبني الموقف والالتزام به بما يعكس حجم اهتمامه بالموقف الذي يسجل له ، إذ ان الكرم فضيلة خلقية مكتسبة وليست طبيعية تقرر قيمتها الظروف الحياتية في المجتمع ، ان هذا الموقف اصبح واضحا في دعوة الشاعر لأصحابه وعليته الى السخاء لأن المال في نظره ما هو الا وسيلة لمساعدة الآخرين على مواجهة مصاعب الحياة وكسب ثنائهم وثقتهم ، فالشاعر حين يعمد الى هكذا فعل بأن يجعل الدية كلها عليه إنما من ايمانه بفناء الانسان وبقاء فعالة ، الحياة على انها فانية فلا فائدة من البخل لذا تسابقوا لإكرام الضيف واجارته وعدوا ذلك عملا من مآثرهم

ومفاخرهم وأكد ذلك حتي بقول: ((ان العربي يظل كريما جوادا أميناً على الجوار مضيافاً ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقرى وحسبوا افضل سجايا الانسان لا يثارها سوى الحماسة والمروءة.))^(٢٦)

ومن اللافت للنظر أن عدل الشاعر عن الكرم لم يكن يصدر من المرأة العاذلة فقط على النحو المتعارف عليه، بل تجاوز ذلك ليكون الاخ طرفا اخر في المعادلة ، مما يتيح لنا تفسير ذلك الى حجم السخاء الذي كان عليه الشاعر، قائلاً^(٢٧):

يلومُ أخي على إهلاك مالي	وما إن غاله ظهري وبطني
ولا ضيعته فالأم فيه	فإن ضياع مالك غيرُ معن
ولكن كل مختبئ فقير	يقولُ ألا استمعُ أنبئك شأني
ومسكينٌ وأعمى قال يوماً	أغثني للاله ولا تدعني
وإعطائي ذوي الأرحام منه	وتوسيعي لذى عجزٍ وضغن
أقي حسبي به ويعزّ عرضي	عليّ إذا الحفيظة أدركتني
وأعلمُ أن ستدركني المنايا	فإن لا أتبعها تتبعني
ذراتُ المانعين المالَ يوماً	مصيرهمُ لإلقاءٍ فدفن

ان روح الخير والسخاء التي تحلّى بها الشاعر كان سجيةً أصيلةً فيه، فهو لا يأبه للوم وعدل أخيه له، ويعتمد الى طريقة السرد القصصي في بيان موقفه منه، فهو لم يضيعه هدرًا، بل وهبه للقراء والمساكين وذوي العمى والعجز ، والقادم مع الضيف، وفلسفته في ذلك أن الكرم لديه يقي عرضه وسمعته من الكلام ، فهو يتستر بالسخاء ، ونصف فلسفته الاخر أنه يرى أن مانعي المال مصيرهم الموت والدفن ، فالكرم يخلد صاحبه ، اما المال لا يخلد ذكره لأنه فان، فالعربي كان يكرم ليكرم ويُطعم ليُطعم وَيُعطي ليُعطي لأن حياة الصحراء غير مأمونة وقد يتعرض لنفس الموقف الذي تعرض له صاحب القرى ، فأصبح الكرم هنا واجب انساني وتقليد عربي حرص عليه العرب في جزيرته^(٢٨)، من جهة اخرى كان الانسان العربي بطبيعته ميالا الى مكارم الأخلاق والى ما يُعلي شأنه في أوساط العرب ومجالسهم ، وقد جمعت العرب اخلاق السيادة في مجموعة من المكارم أهمها الكرم والجود ، ولأن الصحراء بطبيعتها يسهل فيها الهلاك والجوع فأصبح العطاء واجبا في تلك الظروف والبخل رذيلة لا يغفرها المجتمع فسادت هناك المبالغة في الكرم وجزءا من الأخلاق والفضيلة^(٢٩)

وتتكرر صور العاذلة عند شاعرنا، ويستمر في رفض عدلها عن سخائه وكرمه، فنجده يرد على زوجته بعد أن عدلته عبر حوار دار بينهما (بكرت باللوم / إعلمي)، قائلاً^(٣٠):

بكرت باللوم تلحانا في بعير ضل أو حانا
 علفت لوا تكررها إن لوا ذاك أعيانا
 إعلمي أن كل مؤتمر مُخطئ في الرأي أحيانا

وتبعاً لهذا نؤيد ما ذهب إليه أحد الباحثين قائلاً: ((فالذي نذهب إليه، هو أن صورة المرأة - في مقاطع الحوار - تشكل الفناع المطلوب لصوت خفي ينبثق من حقيقة النفس البشرية، والذي يمثل عمق المعاناة النفسية لطموح الشاعر، وبتعبير أوضح، أن حقيقة الصراع الذي يقوم داخل النفس الإنسانية، هو المنطلق الذي رشح المسلك العام لحياة الإنسان، لكن محاولة إخفائه هي التي تمخضت عن هذا السلوك الذي يعبر عن ذلك الصراع الخفي والمعاناة النفسية المتأرجحة بين الأقدام والإحجام))^(٣١)، ومما تقدم يتبين لنا جليا ما مثلته قيمة الكرم عند الشاعر، وكيف تمكن من استدامتها في خضم النتاج الشعري ، وحرصه على الالتزام بهذه القيمة المجتمعية ، لمالها من دور بارز في حياة الشاعر خاصة والمجتمع عامة .

• قيمتا (حسن الجوار ، حسن الخلق)

تضمن الشعر العربي القديم القيم الاجتماعية والاخلاقية، المتعارف عليها في المجتمع العربي قبل الاسلام وبعده، والتي كان قد أقرها وهذب بعضها بما ينسجم مع تعاليمه حيث قرن بعضها بمسألة الاجر والثواب في الآخرة ، وقد تمثلت هذه القيم بكلمة وادة متعارف عليها وهي (المروءة) والتي يندرج ضمنها قيم متعددة مثل حسن الجوار ورعايته ونصرته ، والتكافل والايثار ، والوفاء بالوعد ، والاستقامة بالخلق عند التعامل مع الآخرين ، واشياء اخرى لامجال لذكرها، وقد اكد العرب قديما على أهمية الجوار وضرورة الالتزام بحقوق الجوار المادية والمعنوية^(٣٢)

لقد صور الشاعر العربي أخلاق مجتمعه وقيمهم وعاداتهم، فكان سجلاً يعرض حياتهم في مختلف جوانبها، إن العرب يحضون على الأفعال الجميلة وينهون عن الأخلاق الذميمة يقول العلوي: ((وانهم سنوا سبيل المكارم لطلابها ودلوا بناء المحامد على أبوابها الاجتماعية والإنسانية سلبية كانت أم إيجابية))^(٣٣) وفي معرض الحديث عن تلك القيم نجد شاعرنا النمر بن تولى يُعلي من شأن الاهتمام بالجوار وكرامه وحسن معاشرته على النحو الذي يكشف عمق وتأصل تلك القيم في نفسه، قائلاً^(٣٤) :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا لَحْمِي بِرُبِّ
 وَلَا لِبَنِي عَلِيٍّ وَلَا سَلَانِي
 وَلَا رَحْلِي بِمَخْزُونٍ عَلَيْهِ
 إِذَا جَارِي إِسْتَعَارَ وَلَا رِدَائِي
 وَلَا أَسْقَى وَلَا يُسْقَى شَرِيبِي
 وَأَمْنَعُهُ إِذَا أَوْرَدْتُ مَائِي
 يُعِلُّ وَبَعْضُ مَا أَسْقَى نِهَالًا
 وَأَشْرِبُهُ عَلَى إِبْلِي الظَّمَاءِ

يفتح الشاعر النص بالقسم الذي يشتغل من خلاله على ايمانه المطلق بما يقوله ويفعله تجاه جاره (لعمر ابيك) ويُتبع القسم بأداة النفي (ما) لتأكيد ما يريد الحديث عنه، فهو يريد اثبات مطلق صفة الكرم لديه تجاه جاره، فالشاة الربى التي تستخلص لطعام البيت لا يخفيها على جاره هي وما انتجته من لبن وسمن (ولا لبني علي ولا سلائي) والامر يتعدى ذلك ليصل اكرام الجار عنده الى تقديمه رحله (ناقته) لجاره ان طلبه منه اكراما له منه ومروءة، لتستمر عطايا الشاعر لجاره الذي لا يُسقي إبله قبله حتى يسقي جاره إبله، تاركا إبله في حالة الظمأ حتى ترتوي إبل جاره، فالشاعر يجعل لجاره حقوقا في ماله وكأنه فرد من افراد الاسرة، وهذا مظهر من مظاهر الاهتمام بتلك القيم الاجتماعية، ومظهر من مظاهر البطولة الاجتماعية طالما أن الكرم يعد شجاعة أيضاً، ((ان العربي يظل كريما جوادا أميناً على الجوار مضيافاً ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقري وحسبها افضل سجايا الانسان لايتأرها سوى الحماسة والمروءة))^(٣٥)

وفضلا عن حقوق الجار المادية التي تمثلت بإكرامه وحمايته، فقد اكد على الحقوق المعنوية وذلك بغض الطرف عن محارمه، فَعَلَّتْ هذه القيمة في نفسه فكان يمتدح بها ويغليها في داخله ، قائلا ^(٣٦):

لا يَعْلَمُ اللامِعَاتُ اللامِحَاتُ ضَحَى ما تَحْتِ كَشْحِي وَلَا يَعْلَمَنَّ أَسْرَارِي
وَلَا أَخُونُ ابْنَ عَمِّي فِي حَلِيلَتِهِ وَلَا الْبَعِيدُ نَوَى عَنِّي وَلَا جَارِي
حَتَّى يُقَالَ إِذَا وُرِيْتُ فِي جَدَثِي لَقَدْ مَضَى نَمْرٌ عَارٍ مِنَ الْعَارِ

ومن هنا تبين لنا كيف تعامل الشاعر مع الجار وكيف اعتنى بتلك القيمة الاجتماعية، وخذها شعراً .

ومن خلال هذا النص نستنتج قيمة اجتماعية أخرى قد حرص عليها المجتمع القديم عامة وشاعرنا خاصة، وهي القيم الاخلاقية، فالشاعر يشير الى عدم خيانتة ابن عمه في حليلته (زوجته) بل ولا يخون حتى البعيد ، وهذا من باب غض البصر والخلق الرفيع، وهو ملازم لتلك الخصال الخُلُقِيَّة حتى يوارى في قبره، ليقال عنه رحل نمر وهو خالٍ من العار والدنس وما يشين سمعته، فالشاعر حريص على تلك القيم وترسيخها في اذان المجتمع، لما لها من دور في استقراره النفسي وأمنه المجتمعي. فضلاً عن أنّ منظومة العلاقات الأخلاقية المتوطدة في المجتمع تكون رؤية جماعية وموضوعية بالنسبة للأشخاص، فهم عندما يولدون يجدونها جاهزة؛ لأنها تتشكل بمعزل عن إرادة الإنسان، وهي تعبر عن دوافع وتصورات حول ما ارتضاه المجتمع وذمه من مجموعة القيم، ولما كان الشعر مرآة الحياة الجاهلية فليس من المعقول أن يصور جانباً ويترك الجوانب الأخرى ^(٣٧).

والشاعر حريص على اشاعة سمة الخُلق الرفيع والشيم الاصيلية، فهو يقول ورب هازئة تتمنى لو أن ابنها مثل يماثلني خُلُقًا وشيمة، وزوجها مثلي فقال^(٣٨):

ولما عَصِيْتُ العادِلِينَ وَلَمْ أبلُ
مَلَأْتَهُم ألقوا على غارِبِي حَبلي

وهازِئَةً مني تَوَدُّ لَو ابْنها
على شِيمتي أو أن قِيَمها مِثلي

فالشاعر حين ينحو هذا المنحى التعبيري عن قيمة حسن الخُلق اجتماعيا إنما لِيَمَثُل تلك القيم في نفسه، وتتمثل هذه القيم بمجموعة من الأعراف والمفاهيم التي أسست البعد الإنساني والوجودي لهذه الذات الجمعية التي يمكن أن تولد إذا ما سقطت على صفحة الذات الشاعرة أداءً واقعيًا. فحَرَص الشاعر على تنمية مجموعة القيم وصلقلها ورفعها إلى مدارج الكمال، فأنتج لنا قيمًا كانت برأيهم قيم الإنسان الفاضل^(٣٩) لأنهم أدركوا كونها قاعدة متينة لبناء المجتمع والأمة ولكونها تبني إنسانًا فاضلاً يرفع من شأن المجتمع^(٤٠) وهم يعتصمون بهذه القيم لشعورهم بالفناء ولكونها الوحيدة التي تخلدهم^(٤١)

ويستمر الشاعر بالدعوة للخُلق القويم وبناء النفس الانسانية وفق المُثل والقيم العليا، قائلاً^(٤٢):

فأوصي الفتى بابتناء العلاء وألا يخون ولا يأتما

ويلبس للدهر أجلاله فلن يبني الناس ما هدم

وإن أنت لاقيت في نجدة فلا تهيبك أن تقدما

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما

وإن تتخاطك أسبابها فإن قصاراك أن تهتما

وأحب حبيبك حبا رويدا لنلا يعولك أن تصرما

فتظلم بالود من وصله رقيقٌ فتسفه أو تندما

وأبغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

فهو يوصي افراد المجتمع ببناء العلى والالتزام بالأمانة وعدم الخيانة، وأن ما يبنيه الانسان من بنيان اجتماعي مستند للخلق الرفيع لا يُهدم، فنجدة الملهوف عنده خلق رفيع، ومحبة الناس ومودتهم، وأن لا تغال بالبغض حتى في من بغضك، تلك الوصايا التي جاء بهي الشاعر هي بمثابة دستور للقيم الخلية المجتمعية والتي من شأنها تأسيس منظومة اجتماعية واعية بمسؤولياتها الاخلاقية تجاه المحيط من ابناء المجتمع، وكل ذلك جاء مبنياً على وفق ما يراه الشاعر من تعظيم لشأن الخُلق وصولاً نحو استكمال بناء منظومة اجتماعية رصينة تضمن ديمومة الحياة المستقرة امنينا ونفسيا، ومن هنا نفهم أهمية تلك القيمة

الاجتماعية على مستوى الفرد _ الشاعر _ والمجتمع، وما تشكله من دور فعّال في ترسيخ قيم التعايش الانساني، لذلك كان حريصا على ذكرها والدعوة إليها، والتأكيد على ديمومتها .

• الصلات الاسرية

ومن القيم الاجتماعية التي اهتم العرب قديما ، هي الصلات الاسرية المتمثلة بصلة الرحم ، وذلك لما تتركه في المجتمع من أثر ايجابي يتمثل بوحدة المجتمع وتماسكه في ظل ظروف بيئية قاسية تتطلب الوحدة ،وقد سادت هذه القيمة قبل الاسلام وحين جاء الاسلام أعلى من شأنها وأصبحت مرتبطة بوزن ديني ،وبذلك أشار القران الكريم بقوله تعالى ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا))(٤٣)

وتعد الصلات الاسرية من اقوى الروابط التي تربط افراد العائلة ببعضها ولاسيما في المجتمعات التي تسودها العصبية وتجعل لها المقام الاول بالنسبة للأهداف التي تواجه الافراد في المواقف المختلفة (٤٤)، ومن خلال تتبع ديوان الشاعر النمر بن تولب لاحظتُ اهتمامه بهذه القيمة الاجتماعية عبر فن الرثاء، تلك القيمة التي خلدها شعره مثلت متانة صلته بزوجته ، وصلته بإخوته الذين كان قد رثاهم وصوّر من خلال شعره قيمتهم الاجتماعية عنده بما يشي بعمق صلاتهم الاسرية فيما بينهم، واننا سنتجاوز موضوعية النص الرثائي لنشتغل على ماورائيات النص ومرجعيات تشكّله للكشف عن تلك الصلات، ومن ذلك قوله يرثي أخاه الحارث بن تولب قائلا(٤٥)

وَلَكِنَّمَا أَسْقِيكَ حَارِ بْنَ تَوْلَبِ

فَوَاللَّهِ مَا أَسْقِي الْبِلَادَ لِحُبِّهَا

وَأَنْتَ عَلَى أَعْوَادِ نَعَشِ مَقْلَبِ

تَضَمَّنْتَ أَدْوَاءَ الْعَشِيرَةِ بَيْنَهُ

عَلَى فُلْجٍ مِنْ بَطْنِ دَجَلَةَ مُطْنَبِ

كَأَنَّ امْرَأَةً فِي النَّاسِ كُنْتُ ابْنَ أُمَّهِ

الشاعر
أخاه
يَجُودُ عَلَى حَسِي الْعَمِيمِ فَيَتَرَبِّبُ

فنجد
يرثي
لَا زَالَ صَوْبٌ مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفِ

على عادة الشعراء حين يرثون من يحبونهم بالدعاء لهم بالسقيا، وهو يدعو لقبه بالسقيا ، دالا بذلك بأسلوب القسم الذي جزم من خلاله موقفه وما يجول بخاطره، وان رثاؤه هذا جاء بما ينسجم مع حجم حضور شخصية اخيه في المجتمع والدور الذي كان يلعبه، فقد كان يجد حلاً لمشكلات العشيرة ويقودها لبر الامان، (ضمنت ادواء العشيرة) ويتجلى عمق الصلة الاسرية بينهما حين وصف الشاعر من كان أخاه كان على بحر خصب من السعة، فقيمة الصلة الاسرية تستمد مكانتها وديمومتها من خلال قيمة ومكانة الانسان في المجتمع الذي يحترم ذو الرأي والمكانة، ولاسيما أن الرثاء في المنظور الاجتماعي هو

((نزعة اجتماعية شمولية تستحضر إعادة انتاج الشخصية وفق ما كانت عليه في تمثلات المجتمع))^(٤٦).

وللشاعر فلسفة خاصة بالصلات الاسرية وتتجم عنه من تبعات اجتماعية، فالصلات الاسرية في نظره يجب أن تكون مع كريمي الاصل وذات المنبت الحسن؛ لأنّ الانسان يقع فيه نصيب من أخواله مشيراً أن ابن اخت القوم مصغى اناؤه إن لم يزاحم خاله بأب جلد، فالشاعر يلي الصلة الاسرية اهمية كبيرة لما لها من تأثير في صياغة الانسان طبعاً ونسقا اجتماعياً، وهذا متأتّ من قبيل اهتمامه بهذه القيمة الاجتماعية، وهو يقول^(٤٧):

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأَمَّكَ مِنْهُمْ غَرِيباً فَلَا يَغُرُّكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنَّ ابْنَ أَخْتِ الْقَوْمِ مُصَغًى إِنْ أَوْهُ إِشْدَا لَمْ يُزَاحِمِ خَالَهَ بِأَبِ جَلْدٍ
إِذَا مَا دَعُوا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولَهُمْ إِلَى الْغَدْرِ ادْنَى مِنْ شَبَابِهِمْ الْمَرْدِ

ومن صور الصلات الاسرية حديث الشاعر عن تشوقه لزوجته (جمرّة) قائلاً^(٤٨) :

صَرَمَتَكَ جَمْرَةً وَاسْتَبَدَّ بِدَارِهَا وَعَدَّتْ عَوَادِي الْحَرْبِ دُونَ مَزَارِهَا
زَبَيْتَكَ أَكُنْ الْعَدُوَّ فَأَصْبَحْتَ أَجَاً وَجُبَّةً مَن قَرَارِ دِيَارِهَا
وَكَاثَهَا دَقْرَى تَخَيَّلُ نَبْتَهَا أَنْفٌ يَغْمُ الضَّالَّ نَبْتُ بَحَارِهَا

فلاحظ الشاعر يشكو من بعد زوجته عنه وذلك بسبب انشغاله بالحروب التي حالت به دون مزارها ، فهذا الشوق نابع من حميم علاقته بها وصفاء نفسيهما مع بعضهما، وهو يذكر الاماكن التي اصبحت بينهما جبل (اجأ) وجبّة ، فهذا التصوير الجغرافي للمكان الممزوج بشوق الشاعر انما جاء ليعطي المتلقي حجم معاناة الشاعر في الوقت الذي يتيح لنا معرفة حجم صلته بزوجته التي بدا بهجرها على هذه الشاكلة، وهذا يدفعنا نحو فهم كنه رؤية الشاعر للصلة الاسرية كقيمة اجتماعية لها حضورها المجتمعي البارز .

ونجد الشاعر يتمثل بالحكمة الرامية الى ترك الضغائن التي من شأنها هدم اركان القرابة والصلة فيما بينهم، فهو ينطلق من منطلق القيمة الاجتماعية للقرابة ووجوب الحفاظ عليه واستدامتها، وهذا نابع من حاجة الانسان قديماً للآخر في ظل ظروف وحياة الصحراء التي تستدعي حياة الجماعة، وفي هذا نجد قائلاً^(٤٩):

وَدَعُوا الضَّغِينَةَ لَا تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ إِنَّ الضَّغَائِنَ لِلْقَرَابَةِ تَقْدَعُ

والشاعر حريص على عمق العلاقة الاسرية والتواصل الاسري مع اخوته، ويستلذ بزيارتهم له قائلاً^(٥٠):

فإذا أتاني إخوتي فدعهم يتعللوا في العيش أو يلهوا معي
لا تطرديهم عن فراشي إنه لا بد يوماً أن سيخلو مضجعي
هلا سألت بعادياء وبيته والخل والخمر التي لم تمنع

فهو يميل الى اسلوب الشرط في اثبات صفته تلك (اذا اتاني اخوتي / فدعهم) فالشرط وجوابه جاء محققين للمعنى الذي ينشده، لاسيما أن اسلوب الشرط بالاداة (اذا) يفيد دلالة ((المستقبل والزمن الاستمراري المتكرر))^(٥١)، فهو يوجه خطابه لزوجته بأن تدع أخوته يتعللون ويستلذون بالعيش عنده وأن يلهو معه لما فيه من حب لهم، وهو ينهج هذا النهج من جانبيين هما، اعلاءه لشأن الصلات الاسرية بما يتناسب مع قيمة تلك القيمة الاجتماعية، فضلا عن رؤيته الفلسفية في أن الحياة فانية وزائلة وأن ما يبقى فقط ما كان جميلا بينهم من حسن العشرة ، فحواره تضمن بناءً فكرياً قاد الشاعر إليه شعوره وحالته النفسية فأتاح له هذا الحوار أن يعبر مفتخراً بمناقبه وعاداته التي ألفها، وقد ألحت عليه عاطفته السائدة - لحفظة خلق عمله الفني - أن يعلي شأن تلك السجية - الصلة الاسرية - التي قدسها المجتمع فكان رده المُسكت على زوجته مدعاة للتوسع في فخره الذاتي بأخوته الذي تمحور حول هذه الفضيلة النفسية الكبرى، وفي ظل هذه المحاجة التي ساقها الشاعر على لسان زوجته فإننا نجد قد واصل تأكيده على ما جُبِلَ عليه، فلا مناص إذاً من أن تكفَّ تلك الزوجة عن رد ما يبغيه من كشف أهمية تلك القيمة الاجتماعية.

وتتجلى صور وقيم الصلات الاسرية عند الشاعر في رثاء اخوته الذين فقدهم، ونلاحظ من خلال لغته عميق احساسه بفقدهم، لأنه أحسَّ بضياح أهل بيته، قائلاً^(٥٢):

بَيْنَ الْبَدِيِّ وَبَيْنَ بُرْقَةٍ ضَاكِحٍ عَوْتُ الْلَهْفِ وَفَارِسٍ مِقْدَامٍ
وَمَقَابِرُ بَيْنَ الرَّسِيسِ وَعَاقِلٍ دَرَسَتْ وَفِيهَا مُنْجِبُونَ كِرَامٍ
جَزَعًا جَزَعَتْ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ لَوْ يَسْمَعُونَ وَكَيْفَ تُدْعَى الْهَامُ
لَا تَبْعِدُوا وَعَدَا السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَسَرَى فَقَدْ يَنْفَرُّ الْأَقْوَامُ
فَأَبَيْتُ مَسْرُورًا بِرُؤْيَا مَنْ أَرَى فَإِذَا انْتَبَهْتُ إِذَا هِيَ الْأَحْلَامُ

فالشاعر عمد الى التحديد الجغرافي للمكان الذي اصبح حاويا لمن فقدهم، بين (البدوي، برقة ضاحك) ليعرج بعدها لذكر صفاتهم، التي تمثلت بغوث اللهيف ، والفروسية، فالمكانة الاجتماعية للميت تعد عاملا مهما في ذاكرة الشعراء، ثم يميل لتحديد المكان مرة أخرى (مقابر بين الرسيس وعاقل) ويذكر صفاتهم الاخرى (منجبون، كرام) فهو يجزع لفقدهم، متجها نحو توظيف اسلوب النهي بالاداة (لا) الناهية التي

أخرجها من سياق العقل ليخاطبهم كما لو كانوا أحياءً، وهنا نلمس غياب العقل إذا ما نظرنا لخطابه من الجانب النفسي، على الرغم من قناعته بأن الأرواح قد تتفرق وهذا شأن الحياة، فضلاً عن ذلك نلمس الجانب النفسي الذي يعيشه الشاعر فهو يبيت مسرور الخاطر برؤيتهم خيالاً ولكن الحثيثة هي أحلام، فهذا الفقد الذي عاشه الشاعر لم يكن نابعا من فراغ بل كان مشتقا من عمق صلته الأسرية بأخوته، وهذا الذي بدوره يشي بأهمية تلك القيمة الاجتماعية لديه جعله ينحو هذا المنحى التعبيري والشعوري. ومما تقدم نلاحظ اهتمام الشاعر بهذه القيمة الاجتماعية المنبني على قدر الصلوات الأسرية، ولما تتركه من أثر إيجابي على وحدة الأسرة وتماسكها، والذي ينعكس بدوره على كيان المجتمع وتماسه وتأزره أيضا في ظل بيئة صحراوية قاحلة تستلزم هكذا بناء مجتمعي .

• الفروسية

كانت الفروسية هي الوسيلة المثلى التي تمكن الإنسان من التعبير عن ذاته وتمكنه من تسجيل حضوره وسط مجتمع طبقي، الفروسية التي تعتمد-فيما تعتمد-على شجاعة الفارس الخارقة، وما يكتنفها من خصال حميدة كالأخلاق النبيلة، ونصرة الحق ونبذ الباطل والظلم^(٥٣)، فعدم الاستقرار المكاني والنفسي وعدم الاطمئنان إلى حقيقة أزلية تهديء من روعة وتخفف من أزمته الوجودية ودهشته الدائمة في تعامله مع قوى الطبيعة المنظورة وغير المنظورة، مكنتنا نقرأ من خلال الشعر القديم بعض مناحي ذلك الصراع الوجودي في حياة المجتمع الجاهلي^(٥٤)، ومن ثم استحضار تلك القيم على ما في هذا الشعر من تمجيد للقوة والترهيب، وتعظيم لمبدأ الحروب وما تدره على المنتصر من غنائم، وما تتركه في نفس المنهزم من رهبة ومذلة، فإن هناك جوانب أخرى لم يهملها الشعر، والتي تصور الوجه الآخر لتلك القيم من نبل وشهامة وكرم وعفو عند المقدرة والتي تدل جميعها على ذلك التوازن القيمي الذي ساد ذلك المجتمع^(٥٥). ومن خلال استقرارنا لشعر النمر بن تولب فقد لمسنا وجود تلك القيم العليا في شعره والتي كشفت عن ملامح فروسيته، ومن ذلك قوله^(٥٦):

أَهْلِكْهَا وَقَدْ لَاقَيْتُ فِيهَا	مَرَارَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا
وَتَذْهَبُ بَاطِلًا غَدَوَاتٍ صُهْبِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ تَخْتَلِجُ اخْتِلَاجَا
جَمُومٌ الشَّدَّ شَانِلَةَ الذَّنَابِي	تَخَالُ بِيَاضَ غَرَّتْهَا سَرَاجَا
وَشَدِّي فِي الْكَرْيَةِ كُلِّ يَوْمٍ	إِذَا الْأَصْوَاتُ خَالَطَتْ الْعَجَاجَا

حيث ظهر الشاعر متحدًا لنفسه بصيغة الاستفهام الإنكاري (أَهْلِكْهَا) ذاكرا حضورها معه فقد شهدت معه فروسيته ومعاركه على نحو قوله (مَرَارَ الطَّعْنِ ، وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا) وهو يصف خيله (صُهْبِي / الإصهب) من أسماء الخيل ، وهي تجري على الأعداء بسرعة شديدة مشبها غرتها بالسراج موظفا الفعل

(تخال) لتقريب الصورة ، وهو يستحضر من حركة الخيل تصوير مشهد فروسيته على نحو قوله (في الكريهة) وشدة الحرب التي وصفها بالضجيج المخالط للغبار المرتفع (العاجا) فالشاعر حين يميل نحو اثراء هذا المشهد بقصد منه للكشف عن مشهد الفروسية عنده واطهار جانب القوة في شخصيته ، فضلا عن تخليد تلك القيمة المجتمعية المهمة .

وهو لا يقف عند حد الحديث عن فروسيته وشواهدهما ، بل نجده يوجه خطابه للآخر داعيا إياه للفروسية قائلاً^(٥٧):

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كِي تُصِيبَ غَنِيمَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجَلَةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقَبُوحٌ

فهو يدعو للفروسية والمخاطرة بغية الحصول على الغنائم وتحصيل مؤنة العيش ، منكرا على الجلوس مع العيال واصفا إياه (بالقبح) مكثفا دلالاته بصيغة المبالغة (قبيح) والتي أفدة دلالة التكتيف المعنوي والدلالي، ولاسيما أن صيغة المبالغة ((للدلالة على الكثرة))^(٥٨) وهو يعمد من ذلك الى ان يكون الانسان مكتفيا بالمال لنفسه لما به من حفظ هيبة الانسان ، وهو ينظر بهذا الاتجاه لما يعرفه عن طبيعة حياتهم البدوية التي تتطلب البحث عن مصادر العيش دون اللجوء الى أساليب أخرى لاتتسجم مع شخصية الرجل الفارس.

ومن صور الفروسية التي اكثر منها الشاعر ميله لذكر فرسه (صهبي) واصفا مشهد طرادها وحركتها التي تشي ببطولته ، قائلاً^(٥٩):

لَقَدْ غَدَوْتُ بِصُهْبِي وَهِيَ مُلْهَبَةٌ إِلَهَابُهَا كَضِرَامِ النَّارِ فِي الشَّيْحِ
جَاءَتْ لِتَسْنَحُنِي يَسْرًا فَقَلْتُ لَهَا عَلَى يَمِينِكَ إِنِّي غَيْرُ مَسْنُوحِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تُرِيدُ الرِّيحَ مُصْعِدَةً نَحْوَ الْجَنُوبِ فَعَزَّهَا عَلَى الرِّيحِ
يَا وَيْلَ صُهْبِي قَبِيلَ الرِّيحِ مُهْذَبَةٌ بَيْنَ النَّجَادِ وَبَيْنَ الْجَزَعِ ذِي الصَّوْحِ

فنلاحظ أن الشاعر يميل نحو ذكر (غدوت) دالاً من ذلك على خروجه وقت الفجر وفي هذا المشهد استحضار شخصية الفارس الذي ينتخب وقت الفجر للخروج ، واصفا خيله بأنها (ملهبة / إلهابا) مشبها إياها بضرام النار في نبات الشيح (النبات البري المعروف بهشاشته) ولشدة جريه يصف محاورته للفريسة التي ارادت اخذ جهة اليسار (جاءت لتسنحني/ فقلت لها) فالحوار يفتح له افاق الحديث عن

فروسيته ، لاسيما أن الحوار (نص للحوار) وهو يصف حركتها بين الاماكن المرتفعة والاوذية والفيافي ،
فالشاعر حين يتجه نحو هذا الوصف الدقيق انما يميل نحو رسم حدود فروسيته وشخصيته كفارس .

وهو يصور مشهد الحرب المتضمن لفروسيته وبطولاته ، فهو يتحدث بلغة التأكيد (ولقد) مُشهدا خيله
على معاركه وبطولاته ، نحو قوله (٦٠):

وَلَقَدْ شَهِدْتَ الْخَيْلَ وَهِيَ مُغِيرَةٌ وَشَهِدْتَهَا تَعْدُو عَلَى آثَارِهَا
وَحَوَيْتُ مَغْنَمَهَا أَمَامَ جِيَادِهَا وَكَرَّرْتُ إِذْ طَرَدَتْ عَلَى أَدْبَارِهَا
وَلَقَدْ شَفَيْتُ مِنَ الرِّكَابِ وَمَشِيهَا وَرَفِيفِهَا نَفْسِي وَمِنْ أَكْوَارِهَا
وَكَأَنَّمَا انْطَمَرَتْ جَنَادِبُ حَرَّةٍ فِي سَرْدِهَا فَرَمْتُكَ عَن أَبْصَارِهَا

فهو يتحدث بلغة (الأنا) وهي (أنا) الفارس بما يتناسب مع حديث الفرسان الذي يسود بيئهم
عصرذاك، حيث كانوا يتفاخرون بالمعارك والخيال المغيرة لأن خلق الشجاعة أُملي عليه ذلك، حيث يقول
العرب ((ان الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة)) (٦١)، ونلاحظ الشاعر يكرر لفظ (لقد) دالاً من ذلك
التكرار على بوز شخصيته عبر قيمة التكرار ، لاسيما أن التكرار يفيد الوظيفة التأكيدية ((ويراد بها اشارة
التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في ذهنه.)) (٦٢)

ومن مشاهد الفروسية التي تحدث عنه الشاعر واحتفى بها كقيمة مجتمعية عليا هو مشهد معركة يوم
الكلاب، متحدثاً عن ترأسه للجموع ، قائلاً (٦٣):

وَيَوْمَ الْكَلَابِ رَأَسْنَا الْجُمُوعَ ضُرَاراً وَجَمَعَ بَنِي مَنْقَرِ
أَجَزْتُ إِلَيْكَ سُهُوبَ الْفَلَاةِ وَرَحَلِي عَلَى جَمَلٍ مِسْفَرِ
طَوِيلِ الذَّرَاعِ قَصِيرِ الْكِرَاعِ يُوَاشِكُكَ بِالسَّبَبِ الْأَعْبَرِ

فالشاعر يتحدث عن بلغة ضمير (نا) الدال على السمو بالنفس واشاعة روح الفروسية ، ونجده
يقرن هذا الضمير بحركية الفعل (رَأَسَ) ليكون المعنى العام أننا قادة الجمع في المعركة ، وهذا من باب
الاهتمام بهذه القيمة الاجتماعية ومالها من حضور في المجتمع العربي القديم ، ذلك المجتمع القائم على
مفاهيم وقيم تحترم القوة ، لذلك فالشجاعة والفروسية لديهم هي ((عماد الفضائل ومن فقدها لم تكتمل فيه
فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس)) (٦٤)

ومما جاء به قوله (٦٥):

سَمَوْنَا لِيَشْكُرَ يَوْمَ النَّهَابِ نَهْزَ قَنَّا سَمَهْرِيَا طَوَالَا
فَلَمَّا التَّقَيْنَا وَكَانَ الْجَلَادُ أَحْبَبُوا الْحَيَاةَ فَوَلُّوا شَلَالَا

ينهض هذا النص على منطلقات الفروسية (سمونا) اي رفعنا رماحنا، مبينا أنها طويلة لإرفاد المشهد بروح الفروسية، وحين اللقاء بقي الشاعر الفارس وقومه في محل النزال وهرب الخصم لأنهم أحبوا الحياة ، فهذه المعادلة التي تركها الشاعر هي معادلة الحياة والموت التي آمن بها الشاعر الفارس كونها من القيم التي اعتنى بها العرب وتفاخروا بها ، ومن هنا نلاحظ كيف تمكن الشاعر من تخليد تلك القيمة المجتمعية ، وكيف عبّر عنها شعرا ، ليعكس من خلالها القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره وبيئته على حدّ سواء .

● الخاتمة

- ١- مثل الشعر العربي رمزاً للحياة العربية وتعبيراً عن مآثرها ومستوعباً لشتى جوانب حياته الروحية والوجدانية والفكرية وسجلاً لروح عصره بكامله >
- ٢- إنّ القيم التي أنضجتها بيئة صحراء العرب لجديرة بالدراسة والتأمل والتمعن، وقد زودنا أداء الشاعر بفيض حيوي ومهم من هذه القيم باعتبار أن الشاعر جزء من واقعه الذي يتفاعل معه، فهو المعبر بطريقته الشعرية عن هذا الواقع وما يدور فيه من حركة وتفاعل إنساني .
- ٣- تمكن الشاعر من تسجيل القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، والتي عكست مثل وقيم المجتمع .
- ٤- ظهرت قيم الفروسية في شعره وأخذت جانبا لا بأس به، كون الفروسية حاجة تقرضها البيئة الصحراوية ، والنظام الحياتي .
- ٥- كشف البحث عن قيم الكرم والسخاء عند الشاعر والتي أخذت الجانب الأكبر في شعره ، وهذا ما اشتهر به الشاعر في وسطه الاجتماعي ، مؤكدا على تلك قيم الكرم والسخاء لدورها في اشاعة التكافل والايثار، وتقوية الاواصر، ورفعة النفس الانسانية.
- ٦- يبين البحث نهج الشاعر الاجتماعي واهتمامه بالصلات الاسرية ودورها في تماسك الاسرة الذي ينجم عنه تماسك المجتمع، وكان هذا جلجا في صلته بزوجته وأخوته.
- ٧- أعلى الشاعر من قيمتي حسن الجوار، والخُلُق كقيمتين اجتماعيتين من شأنهما الحفاظ على بنية المجتمع، وديمومة تماسكه وتواصله .

اوضح البحث عن عمق صلة

الشاعر بمجتمعه الذي حظي بكل هذا الاهتمام الشعري، والذي بين عمق تداخل الشاعر مع بيئته

- (١) الاغاني : ٢٢ : ٢٣٧
- (٢) ينظر : ديوانه : ١٠
- (٣) طبقات فحول الشعراء : ١٦٠
- (٤) طبقات فحول الشعراء : ١٦٠ ، الاغاني : ٢٢:٣٧٣
- (٥) طبقات فحول الشعراء : ١٥٩
- (٦) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين ، السمرقندي : ١ : ١٤٣ - ١٤٤
- (٧) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد الحوفي : ٥٦
- (٨) ينظر : تفسير المنار ، محمد رشيد رضا : ١ : ١٩٥
- (٩) ينظر : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، محمود شكري الالوسي ، ٢:٢٦٦
- (١٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي : ٤:٥٧٦
- (١١) ينظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق ، مفيد قميحة : ١ : ٢٨
- (١٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، الابشيهي ، تحقيق ، عبدالله أنيس الطباع : ١ : ٣١٠
- (١٣) ينظر : الفتوة عند العرب واحاديث الفروسية والمثل العليا ، عمر الدسوقي : ٦٠
- (١٤) القيم الاخلاقية في الشعر الجاهلي ، انتصار مهدي عبدالله: ١٠١
- (١٥) العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، محمود عرفه محمود: ٢٨٥
- (١٦) موجز تاريخ العرب ، فيليب حتي : ٣١٣
- (١٧) الحياة الاجتماعية عند العرب ، ظافر القاسمي : ١٣٨-١٣٩
- (١٨) ديوانه : ٤٨
- (١٩) المصدر نفسه : ٥١
- (٢٠) المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ : ص ١٦١
- (٢١) ديوانه : ٦٩-٧٠
- (٢٢) التحليل النقدي والجمالي للأدب - د . عناد غزوان ، دار آفاق ، بغداد ، ١٩٨٥ : ٥٦
- (٢٣) ديوانه : ٨٢-٨٤
- (٢٤) ديوانه : ٨٨
- (٢٥) المصدر نفسه : ١٢٢
- (٢٦) موجز تاريخ العرب . فيليب ، ط 9 دار الغندور للطباعة ، بيروت 1883 ، م : 188
- (٢٧) ديوانه : ١٣٣ - ١٣٤
- (٢٨) ينظر : ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد الحوفي : ٣١٣
- (٢٩) ينظر : القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي انتصار عبدالله مهدي : ١٣١ .
- (٣٠) ديوانه : ١٣٥
- (٣١) البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام ، سعد عبد الحمزه غزيوي : ٢٥٨-٢٥٩

- (٣٢) ينظر : القيم الخلقية في الخطابة العربية ، سعيد منصور، منشورات جامعة بنغازي : ٣٣
- (٣٣) نزره الأغريرض في نصره القريض : المظفر بن الفضل بن يحيى أبو علي العلوي الحسيني (ت 656 هـ) تحقيق
الدكتوره نهى عارف الحسن الطبعة الأولى.1976 : ٣٥٨
- (٣٤) ديوانه: ٣٥
- (٣٥) موجز تاريخ العرب .فيليب , ط 9 دار الغندور للطباعة , بيروت, ١٩٨٣م:١٨٨
- (٣٦) ديوانه: ٧٤
- (٣٧) ينظر : تعددية النمط في الشعر الجاهلي وظلاله الطويلة، د .محيي الدين البرادعي، منشورات وزارة الثقافة،
الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٥ : ١٢
- (٣٨) ديوانه : ١١٠
- (٣٩) ينظر : تعددية النمط في الشعر الجاهلي وظلاله الطويلة: ٤٠-٤١
- (٤٠) ينظر :القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي :١٩٣-١٩٨
- (٤١) مشاهد الصيد في الشعر الجاهلي،سوسن يموت ،دائرة اللغة العربية في الجامعة الامريكية بيروت،١٩٨٥م : ١٧١
- (٤٢) ديوانه : ١١٦ - ١١٧
- (٤٣) سورة النساء : الاية : ١
- (٤٤) ينظر : المجتمع الانساني ، محمد منعم ، ٦٧ .
- (٤٥) ديوانه :
- (٤٦) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ط٢ ، دار الحقائق الجزائر، ١٩٨٠م:١٥٠
- (٤٧) ديوانه : ٦٠ - ٦١
- (٤٨) ديوانه : ٦٨، وينظر : ١١٣ - ١٢٣ - ١٢٥
- (٤٩) المصدر نفسه : ٨١
- (٥٠) م . ن : ٨٤ - ٧٦
- (٥١) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ٦٠
- (٥٢) ديوانه : ١١١ - ١١٢
- (٥٣) ينظر الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي: ٧٣
- (٥٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري ، ٨٢ .
- (٥٥) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، علي الجندي :٣٦
- (٥٦) ديوانه : ٥١-٥٢
- (٥٧) ديوانه : ٥٣
- (٥٨) الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس : ٢٢٤ .
- (٥٩) ديوانه : ٥٤-٥٥
- (٦٠) ديوانه : ٧٢ - ٧٣
- (٦١) مجمع الحكم والامثال في الشعر العربي، احمد قبش : ٥٤
- (٦٢) التكرار في الشعر الجاهلي، موسى ربايعه : ٧٧.

(٦٣) ديوانه : ٧٥

(٦٤) جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة، د. بوجمعة بوبعوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

٢٧ : ٢٠٠٠م

(٦٥) ديوانه : ١٠٨

List of sources and references

1. Equestrianism in Pre-Islamic Poetry, Nouri Hammoudi Al-Qaisi, Dar Al-Kutub, Al-Nahda Library, Egypt, 2nd edition, 1984.
2. Pre-Islamic Poetry, Its Characteristics and Art, Yahya Al-Juburi, Publications of the University of Qar Younis, 6th edition, Dr.
3. Poetry of War in the Pre-Islamic Era, Ali al-Jundi, The Anglo-Egyptian Library, Al-Risala Press, 2nd Edition, Dr.
4. The Council of Proverbs and Proverbs in Arabic Poetry, Ahmad Kabbash, The Egyptian Anglo Rank, i 1, 1985.
5. The dialectic of values in pre-Islamic poetry, a contemporary critical view. Boujemaa Boubaoui, Union of Arab Writers Publications, Damascus, D. i, 2002.
6. Ethical values in Arabic rhetoric, Saeed Mansour, University of Benghazi Publications, 1st edition, 1991.
7. Hunting scenes in pre-Islamic poetry, Sawsan Yamout, Department of Arabic Language at the American University of Beirut, 1985.
8. Pluralism in pre-Islamic poetry and its long shadows, d. Mohieldin El-Baradei, Publications of the Ministry of Culture, Syrian Arab Republic, Dr. I, 2005
9. A brief history of the Arabs. Philip, Dar Al-Ghandour Printing House, Beirut, 9th floor, Dr.
10. Nazrat Al-Aghraideh in Nusrat Al-Qrayed: Al-Muzaffar bin Al-Fadl Ibn Yahya Abu Ali Al-Alawi Al-Husseini (Tel. 656 H), investigation by Dr. Noha Aref Al-Hassan, 1st edition, 1976.
11. The Human Society, Luster of Muhammad Abdel-Moneim, Cairo Press, 1st edition, 1970.
12. Essays in Pre-Islamic Poetry, Youssef Al-Youssef, Dar Al-Haqaq, Algeria, 2nd Edition, 1980.
13. Moral Values in Pre-Islamic Poetry, Intisar Mahdi Abdullah, University of Khartoum, D.D., 2008.
14. Arabs before Islam, their political and religious conditions and the most important manifestations of their civilization, Mahmoud Arafa Mahmoud, Cairo University, Dr. I, 1991.
15. Social Life for Arabs, Dhafer Al Qasimi, Catholic Press, Beirut, Dr., 1983.
16. Women in Pre-Islamic Poetry, Ali Al-Hashimi, Dar Al-Maarif Press, Baghdad, Dr., 1960
17. Arab Life from Pre-Islamic Poetry, Ahmed Al-Hofy, Nahdet Misr Library, Dr.T, D.T.
18. The intellectual and artistic structure of the poetry of war among Arabs before Islam, Saad Abd al-Hamza Ghaziwi
19. Songs, by Abu Al-Faraj Al-Isfahani (d. 356 e). Publications of the Egyptian Foundation for Authorship and Translation, Dr.T, D.T.

-
20. Diwan Al-Nimr bin Tulip Al-Aakli, Collection, Explanation, and Investigation, Muhammad Nabil Tarifi, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 2000.
 21. Layers of stallions of poets, Muhammad bin Salam Al-Jamhi (d. 231 AH), investigation, Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani in Jeddah, d. I, d.
 22. Cautioning the coverers with the hadiths of the master of the messengers, Samarqandi (d. 373 AH), investigation, Yusef Ali Bedaiwi, Dar Ibn Katheer, Damascus, 3rd floor, 2003.
 23. Tafsir Al-Manar, Muhammad Rashid Reda, Mutiaa Al-Manar, Egypt, Ed. 1, Dr.
 24. Reaching the Arabs to know the conditions of the Arabs, Mahmoud Shukry Al-Alousi, Dar Al-Kitab Al-Masry, Dr., Dr.
 25. The Unique Contract, by Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi (d. 328 AH), investigation, Moufid Moufid Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, I 1, 1983.
 26. Al-Mustafrif in all the outlook art, Al-Ibshahi (d. 850 AH), investigation, Abdullah Anis Al-Tabbaa, Dar Al-Arqam Company, Dr. I, D.
 27. The Fatwa among the Arabs, Equestrian Hadiths, and Ideals, Omar El-Desouky, Al-Nahda Library, Egypt, Dr., 1993.